وُجوب حُسن الفهم للمسلِم الملتزِم في تعيّن الأدب المحتَّم مع الأشهر الحُرُم

2022-02-11

الحمد لله جعل الشهور في كتابه إثنيْ عشر شهرا في العِدّة. منها أربعة حُرُم. أوّلها شهر الله الحرام ذو القِعدة. وثلاثة بعده. ذو الحجة ومحرَّم ورجب الذي انفرد عنها وحده. ذلك الدِّين القيِّم. فمن لم يَظلِم فيهنّ نفسه فقد بلغ رُشده. ومن أطاع ربَّه فيهنّ فقد أنجح قصده. فسبحانه من إله جعل شهر رجب موسما للخيرات. ومغنَما للسعادات. وربيعا للمقرَّبين. وقُربة للمتباعِدين. فهو شهر الله الأصبّ. تُصَبّ فيه الرحمة على التائبين. وتُفاض فيه أنوار القَبول على العاملين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. باسط اليد بالرحمة دائم الدهر. خصوصا في مثل هذا الشهر. وأشهد أنّ سيّدنا محمّدا عبده ورسوله. وصفيّه من خلقه وخليله. سبب هدايتنا، وسرّ عنايتنا، وباب سعادتنا، والشفيع الأعظم لنا يوم بعثنا وحشرنا ونشرنا،

هذا الحبيبُ رسولُ الله عُدَّتُنا * هذا رسولُ إلهِ العرْشِ مولانَا

صلّوا عليه عبادَ الله واجتهِدوا * فإنّ ذاك به الرّحمانُ أَوْصانَا

وعَظِّموا سيِّدَ الكوْنَيْن كلُّكُمُ * ورَدِّدوا ذِكْرَه سرًّا وإعلانَا

اللهم صلّ وسلِّم وبارك على سيّدنا محمد. كريم الآباء والأجداد. وعلى آله مصابيح الهدى والرشاد. وصحابته ذوي الجدّ والإجتهاد. صلاة تكفينا بها شرّ الأعداء والحسّاد. وتحمينا بها من طوارق الهموم والأحزان والأنكاد. وتكفّ بها عنّا يد الظلم والزيغ والفساد. وتجيرنا بها من حرّ نار لظى وبئس المهاد. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. للهِ الحِكمَةُ البالِغَةُ. ولهُ الخلقُ والأمرُ. فقد فضَّلَ بعضَ الشُّهورِ على بعضٍ. وبعضَ الأيامِ وبعضَ السَّاعاتِ على بعضٍ! حتى الأنبياءِ الكرامِ. عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ. فضَّلَ بعضهم على بعضٍ. فالسعيد كما قال الصالحون: مَنِ اغتنم مواسم الشهور والأيام والساعات .وتقرّب فيها إلى مولاه بما فيها من وظائف الطاعات. فعسى أن تصيبه نفحة من تلك النفحات. فيسعد بها سعادة يأمن بعدها من النار وما فيها من اللفحات . وقد خرّج الطبراني في الكبير من حديث محمد بن سلمة رضي الله عنه مرفوعا:((إنّ لله في أيّام الدهر نفحاتٍ فتعرّضوا لها. فلعلّ أحدَكم أن

تصيبه نفحةٌ فلا يشقى بعدها أبدا)). وأوّل هذه الأشهر شهر رجب. الذي نحن فيه الآن. كما روى ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا:((وأوّلهنّ رجب)). وفي رواية البخاري ذكره مرفوعا:((ورجب مضر)). وسُمِّي رجبا. لأنّه كان يُرجَّب .أي يُعظَّم. ومن تعظيم العرب إيّاه. أنّ سدنة الكعبة يفتحونها من أوّل الشهر إلى آخره. لا يغلقونها. ويقولون: الشهر شهر الله. والبيت بيت الله .والعبد عبد الله. فلا يُمْنَع عبد الله من بيت الله في شهر الله. ويقال له كذلك: رجبٌ الأصبّ. لأنّ الرحمات تُصَبّ فيه من الملأ الأعلى على أهل الأرض. ويقال له أيضا: رجبٌ الأصمّ. لأنّ من حرمته عند العرب أنّه كان لا يُسمَعُ فيه صلصلة حديد ولا قعقعة سلاح. فكانوا يتركون في القتال. حتى كان الرجل العادي والجاهلي إذا قابل قاتل أبيه أو أخيه في شهر رجب يلفت وجهه إلى الجهة الأخرى ولا ينظر إليه بسوء، إحتراماً لحرمة هذا الشهر الكريم، وإذا قابل مَنْ أساء إليه بقولٍ أو فعلٍ أو عملٍ تغاضى عنه أو تركه، توقيراً واحتراماً لهذا الشهر الحرام. أيّها المسلمون. وجاء الإسلام وزاد هذه الأشهر الحُرُم توقيراً وتعظيماً. وذلك في قول الله سبحانه وتعالى في سورة التوبة:((إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ)). فنهانا الله عن أن نظلم أنفسنا في هذه الأشهر الكريمة، وهي الأشهر الحرم، ومن ضمنها شهر رجب الأغر. وقَالَ قَتَادَةُ رَحِمَهُ اللهُ: الظُّلْمُ فِي الأَشْهُرِ الْحُرُمِ أَعْظَمُ خَطِيئَةً وَوِزْرًا مِنَ الظُّلْمِ فِيمَا سِوَاهَا، وَإِنْ كَانَ الظُّلْمُ فِي كُلِّ حَالٍ عَظِيمًا، وَلَكِنَّ اللهَ يُعَظِّمُ مِنْ أَمْرِهِ مَا يَشَاءُ. وروى البخاري عن أبي بكرة رضي الله عنه أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم خطب في حجّة الوداع وقال في خطبته:((إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلاَثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقِعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ)). وسمّي رجب مضر .لأنّ مضر كانت لا تغيّره. بل توقعه في وقته. بخلاف باقي العرب. الذين كانوا يتلاعبون في الشهور. وهو النسيء المذكور في قوله تعالى في سورة التوبة:((إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِّيُوَاطِؤُواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ الله)). ورجب هو الشهر الذي إذا

هلَّ هلالُه قال نبيّنا صلى الله عليه وسلم في دُعائه كما رواه الإمام أحمد والطبراني عن أنس بن مالك رضي الله عنه:((اللهم بارِك لنا في رجب وشعبان وبلِّغنا رمضان)). زاد أبو نعيم في الحلية:((وأعنّا على الصيام والقيام وغضّ البصر وحِفْظ اللسان. ولا تجعل حظّنا منه الجوع والسهر)). أيّها المسلمون. وهنا سؤال ملحّ: كيف يظلم الإنسان نفسه؟! إنّ ظُلم الإنسان لنفسه هو أن يتجاوز الإنسان حدود الله. كما قال تعالى في سورة الطلاق:((وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ)). أيْ أنّ الإنسان الذي يتعدّى، ويتجاوز الحدود التي أعدَّها الملك المعبود. للمعاملات وللعبادات. وللأخلاق وللكمالات الإلهية، فقد عرّض نفسه للظلم الكبير. الذي لا ينفع فيه وزير ولا شفيع ولا نظير، لأنّ الأمر يتعلّق بالمَلِك الكبير. سبحانه وتعالى. فإن كان الإنسان يُرخي لنفسه العنان لترتكب بعض الهفوات أو بعض الزلاّت، فإنه في هذا الشهر الحرام. شهر رجب. يجب أن يَقبض بلجام نفسه بقوّة الشريعة الإلهية، ويجعلها مُسّخَرة لأحكام ربِّ البرية، فإذا أرادت العين أن تنظر إلى الحرام تقول لها: أَمَا سمعتي خالقك وهو يقول في سورة النور:((قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ)). ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كما في الترغيب والترهيب ومجمع الزوائد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:((النَّظْرَةُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ، مَنْ تَرَكَهَا مِنْ مَخَافَةِ اللَّهِ، أَبْدَلَهَا اللَّهُ إِيمَانَاً يَجِدُ حَلاَوَتَهُ فِي قَلْبِهِ)). أيّها المسلمون. وإذا أرادت الأذن أن تستمع إلى ما حرَّم الله من غيبة ونميمة وسبَّ وشتم وقول باطل، تقول لها: كوني كما قال الله في سورة الحاقة:((وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ))، والأذن الواعية هي التي لا تقع في معصية، وفى الأثر كما في إحياء علوم الدين للغزالي:((المُغْتَابُ وَالمُسْتَمِعُ شَرِيكَانِ فِي الإِثْمِ)). وذلك إذا وافقته ولم تنهه. كنتَ شريكه على هذا الإثم. الذي جعله ربُّنا أقبح من إسالة الدماء! يقول سبحانه وتعالى في سورة الحجرات:((أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ. وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ)). والحلّ هو قول الله تعالى:في سورة الأنعام:((فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)). لهذا يجب على المسلم أن يُوطّن نفسه ألاّ يجلس في مجالس الغيبة والنميمة. ولا في مجالس اللهو في هذه الأيام الرجبية المباركة، لأنّ الله حرَّم فيها هذه المعاصي، وإن كانت

محرَّمة طول العام، ولكنها هذه الأيام أشدّ حرمة. وأشدّ وزراً. ومن هنا نفهم معنى الآية الكريمة. قال سبحانه:((فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ)). أيّها المسلمون. روى الإمام السيوطي رحمه الله في الجامع الصغير عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنّه قال:((رَجَب شَهْرُ اللهِ وشعبانُ شهرِي ورَمَضانُ شهرُ أُمَّتِي)). فنسب مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الشهر بالذات إلى الله تعالى. لأنه شهر التوبة. أي شهر العفو الإلهي، ومغفرة الله، وإحسان الله، وإكرام الله لعباد الله، لأنّ الله موصوف بهذه الصفات الكريمة، إذا أَتَوْا حضرته مبادرين تائبين منيبين إليه. روى الديلمي عن سيّدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((أكثِروا من الإستغفار في شهر رجب فإنَّ للهِ في كل ساعةٍ منه عُتَقَاء من النار)). ويُرْوَى أنّ الله تعالى يقول في كل ليلة من رجب:((رجبٌ شهري. والعبد عبدي. والرحمة رحمتي. والفضل بيدي. وأنا غافر لمَن استغفرني في هذا الشهر. ومعطٍ لمَن سألني)). ورُوي عن وهب بن منبّه رضي الله عنه قال: قرأتُ في بعض الكُتُب السابقة. أنّ مَن استغفر الله تعالى في رجب بالغداة والعشيّ سبعين مرّة. حرّم الله جسده على النار. قال بعض أهل الإشارة: رجب ثلاثة أحرف. (راء وجيم وباء). فالراء من رحمة الله. والجيم جُرْم العبد وجنايته. والباء برّ الله. كأنّه يقول: يا عبدي جعلتُ جُرْمَك وجنايتَك بين بِرِّي ورحمتي. فلا يَبقى لك جُرْم ولا جناية بحرمة شهر رجب. قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: وجدير بمَن سوّد صحيفته بالذنوب أن يبيّضها بالتوبة في هذا الشهر. وبمَن ضيّع عمره في البطالة أن يغتنم فيه ما بقي من العمر. قال الله تعالى في سورة البقرة:((إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ)). وذكر الإمام السيوطي رحمه الله في كتابه الحاوي للفتاوي عَنْ كُليب الجُهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:(قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: لَوْلَا أَنَّ الذَّنْبَ خَيْرٌ لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ مِنَ الْعُجْبِ مَا خَلَّيْتُ بَيْنَ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ وَبَيْنَ الذَّنْبِ)). وأَخْرَجَ الديلمي فِي مُسْنَدِ الْفِرْدَوْسِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((لَوْلَا أَنَّ الْمُؤْمِنَ يُعْجَبُ بِعَمَلِهِ لَعُصِمَ مِنَ الذَّنْبِ حَتَّى لَا يَهُمَّ بِهِ، وَلَكِنَّ الذَّنْبَ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْعُجْبِ)). أيّها المسلمون. فليس

كل ذنب عملناه عرفناه. فربما تكون هناك ذنوب عند علاّم الغيوب ولم نعلم بها. ولم نحاسب أنفسنا على فعلها. ولذا قال الله لنا أجمعين في سورة النور:((وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)). وبيّن هذه الحقيقة نبيّنا الأمين صلى الله عليه وسلم فقال فيما رواه الترمذي وابن ماجة والدرامي وفي مسند الإمام أحمد ومنتخب بن حُمَيْد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ)). ولم يستثنِ، ماذا نفعل؟ بيَّن فقال:((وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ)). يعني الذي يَديمون على التوبة. نَعم. عصينا كثيرا. وغفِلنا كثيرا. وأخطأنا كثيرا. فما أحوجنا جميعاً في هذا الشهر الكريم إلى مغفرة الله، نستغفره بقلوب منكسرة. وأجسام خاشعة. ورءوس خاضعة، حتى يَتقبّل الله منّا أجمعين. ويُصلح شأننا. وينقلنا إلى أحسن حال. هذه ليالي رجب فُتحت لنا. فلنستغفر الله سبحانه وتعالى. إن واجه ذنبٌ منّا شأنًا فلنعلم أنّ اسمه الغافر. وإن جاوزنا فهو الغفور. وإن أسرفنا فهو الغفّار. سبحانه وتعالى. ومَن يَغفر الذنوب إلا الله. ومَن يستر العيوب إلا الله. أيّها المسلمون. فاتّقوا الله عباد الله. وعظّموا ما عظّم الله من حرمة هذا الشهر. واستحيوا منه سبحانه في السر والجهر. واجتنبوا من المحرّمات ما نهاكم عنه. وأتوا ممّا أمركم بالمستطاع منه. وبادروا بالإقلاع والتوبة ممّا اقترفتم. فإنّكم لا محالة بين يديه مسؤولون عمّا أسلفتم. فكم من تائب في هذه الأيام قُوبِل بمغفرة ذنوبه. وكم من طالب حاجة ظَفَر بكل مطلوبه. وتعرّضوا رحمكم الله للنفحات القدسية. واغتنموا في هذه الأوقات المباركة المواهب الإلهية. اللهم يا من وفّقت أهل الخير إلى الخير وأعنتهم عليه. وفّقنا يا مولانا إلى الخير وأعنّا عليه. اللهم وفِّقنا للأعمال الصالحات، وترك المنكرات، اللهم حبِّب إلينا الإيمان وزيِّنه فى قلوبنا، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، اللهم إنّا نسألك الهدى والتقى. والعفاف والغنى. بحرمة رسولك الأتقى. سيّدنا ومولانا محمّد المصطفى. صلى الله عليه وآله وسلم حتى يرضى. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. وآخِر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين. اهـ